

الجهاد بين الأمر والنهي في نهج البلاغة دراسة في ضوء علم المعاني

الأستاذ الدكتور

حاکم حبیب الکریتی

المدرس المساعد

وفاء عبد الأمير الصافي

ملخص البحث

لا بد لموضوع الجهاد أن يتشكل من محورين هما الإيجاب (الحق) والسلب (الباطل) - وهي بطبيعة الحال - لا تخرج عن هدفه الذي أنشئ من أجله، إذ المعول عليه انتصار الحق في كل ميدان وما يولده ذلك الانتصار من طاقات إيجابية تساعد في بناء مجتمع خال من الأمراض والوبئة الاجتماعية التي - في الغالب - تؤدي الى حروب مستمرة لا تنتهي . ولقد ظهر هذا الأمر جليا في نصوص نهج البلاغة متوزعا بين الأمر تارة والنهي تارة أخرى وما تفرع عنهما من الأغراض الحقيقية والمجازية التي أظهرت قوة الكلمة وجماليتها الفنية وطاقاتها التعبيرية وتأثيرها في الآخر (الصادق والعدو) على حد سواء، ولقد كان الهدف الأساس من استعمال هذين الاسلوبين هو الاعداد النفسي والبدني للإنسان المسلم بما حوته من الأسس والمفاهيم الجهادية التي تحاول الكشف عن زيف الدنيا وملذاتها الزائلة والاستعداد الدائم لليوم الآخر سواء أكان في الحياة المدنية أو ساحات القتال .

المقدمة

الانشاء هو الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه او لا تطابقه (١) ، لانه ليس لدلوله قبل التلفظ به في الواقع الخارجي ما يطابقه أو لا يطابقه ، وعليه لا يحتفل أن يكون صادقا او كاذبا(٢) .

فليس الغرض من الانشاء الاعلام او الاخبار ، وإنما هي عبارات تصاغ ابتداء تعبيرا عن ذات المنشئ او المتكلم واشراك المتلقي الذي لا يستطيع الوصول الى المعنى المطلوب الا من خلال المتكلم ذاته (٣) ، وإن كان التنوع واضحا في تقسيماته وتفرعاته المختلفة.

وينقسم الانشاء على قسمين: الطلبي وغير الطلبي الذي ما لا يستلزم مطلوباً ليس حاصلًا وقت الطلب ومن اقسامه التعجب، والمدح والذم، وصيغ العقود، والقسم (٤). والانشاء الطلبي : وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب عند النطق به (٥)، وبهذا فان الطلب لا يأتي بمعناه الحقيقي ، بل لا بد من تأويله بما يتناسب والمقام الذي قصد اليه (٦) ، ولهذا جاء اهتمام علماء العربية به لما يقدمه من التصرف في فنون القول لخروجه عن الأغراض المألوفة الى معان جديدة، ومن اقسامه: الامر ، والنهي، الاستفهام، والتمني والنداء (٧). وستقف الدراسة على النوع الثاني من الانشاء وبالتحديد قسمي الامر والنهي لما فيه من الملامح البلاغية الواضحة.

فمن اساليهها التي وردت في كلام الامام علي (عليه السلام) :

١- الامر : هو ((صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على وجه الاستعلاء)) (٨)، وقد هيمن هذا الأسلوب في نهج البلاغة بصيغتيه الحقيقية والمجازية إذ كان الغرض منه الاعداد النفسي والبدني؛ لانه الخليفة الشرعي الذي يملك حق أمر المسلمين بما ينظم شؤون حياتهم في الدنيا ويمهد بذلك كله لآخرة ، وبهذا كان الاستعداد حاضرا في مواجهة الدنيا والاعداء على السواء ، ومن هنا جاء إكثاره (عليه السلام) من استعمال هذه الصيغة في خطبه ورسائله .

وللامر أربع صيغ (٩) ، وهي :

أ- فعل الأمر: لا بد من الإشارة إلى كثرة ورود هذا الفعل في أقوال الامام (عليه السلام) وخطبه للأسباب المذكورة الانفة الذكر، ولكن الاقتصار هنا سيكون على ما يكشف من الأغراض التي سعى الامام (عليه السلام) إلى تحقيقها من خلال هذا الأسلوب ، ومما جاء في قوله (عليه السلام): ((انْفِرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ ، وَلَا تَثَاقَلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقْرُوا بِالْخَسَفِ ، وَتَبْوءُوا بِالذِّلِّ وَيَكُونَ نَصِيْبُكُمْ الْأَخْسَ ، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرْقُ ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يَنْمَ عَنْهُ)) (١٠)، فالتوجيهات الحربية واضحة حيث الامر بالنفور استعدادا لملاقاة الاعداء ، والثقل ههنا كناية عن القعود وعدم المواجهة ، ومن ثم ما يصابون به من الذل والهوان تحت سطوة الاعداء ، ويكون نصيبهم الذي يرجعون به هو الخسة والضعفة والمهانة. والسهر هنا هو صنو الحرب الذي يعني التأهب الدائم للعدو في كل وقت (١١) ، ومن لطائف قوله (عليه السلام): (من

نام لم ينم عنه) فصاحب الحرب لا ينام ومن أخذه العجز والخمول فليعلم أن هناك عيوننا ساهرة تحرص على إبادة وقاتله. إن ما جاء به الامام (عليه السلام) بعد فعل الأمر يبين أهميته ، لان عدم اطاعة الامر تعني وقوع ما أشار إليه.

ب- المضارع المقرون بلام الامر: ومنه قوله (عليه السلام): ((فَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُوا أَوْ نَزَلَ بِكُمْ ، فَلْيَكُنْ مَعَكُمْ فِي قَبْلِ الْأَشْرَافِ ، أَوْ سَفَاحِ الْجِبَالِ ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رَدَاءٌ ، وَدُونَكُمْ مَرَدًّا . وَلَتَكُنْ مَقَاتِلُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ ، وَمَنَاكِبِ الْهَضَابِ ، لئَلَّا يَأْتِيَكُمْ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانٍ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ)) (١٢). يلاحظ أن الامر يقترن بالحركة التي يوفرها الفعل المضارع المقترن بلام الامر، وهو ما يتناسب مع ما أوصى به (عليه السلام)، فاوامره القتالية إلى جيشه واضحة حيث اتخاذ مواضع المعسكر بقوله (فليكن) في أعالي الجبال او منعطفات الأنهار، حتى يكون عوناً لهم في قتالهم وسندا يحتمون به، و(لتكن) لمواجهة لاعدائهم من جهة او اثنتين حتى يأمنوا ويطمئنوا إلى سيطرتهم التامة على ساحة المعركة واغلاق كل ثغرات الضعف التي قد تلحق بهم ومن ثم احرازهم النصر.

ج- اسم فعل امر: قال (عليه السلام) في كتاب له إلى عامله على البصرة وهذا اخره: ((إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا ، فَحَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ ، قَدْ أَسْلَلْتُ مِنْ مَخَالِكَ ، وَأَفْلَتُ مِنْ حَبَائِلِكَ ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكَ.)) (١٣)، فاسم الفعل هو نوع من الكلمات يقوم مقام الفعل في العمل ولا يتأثر بالعوامل وهو ليس من الفضلات (١٤) ، ومعنى اليك عني: اي ابعدي عني ، وحبلك على غاربك كناية عن الترك والاطلاق: أي اذهبي حيث شئت ، والغارب ما بين السنام والعنق، فالناقة اذا القي الحبل على غاربها اتخذت مرعاها حيث شاءت فلا مرد للتحكم بها الا برجوع ذلك الغارب ، هكذا هي الدنيا حيث تركت هائمة لا ضابط اخلاقي يمنعها من ورود بواطن الشهوات والملذات المحرمة ، وقد فر (عليه السلام) من اظفارها القوية التي تحكم على الفريسة ، وتخلص من المصائد والشباك التي تتخذها هدفا لها، وكأنها صياد ماهر ، والدنيا واد سحيق لا يثبت فيه قدم فحبها متعلق في قلب كل إنسان بما تزينت له إلا قلبه (عليه السلام) ، فقد ابتعد عن كل مزالقها الخطيرة التي تتصيد بها البشر (١٥).

د- المصدر النائب عن فعل الامر : قال (عليه السلام) واصفا نفسه وأصحابه يوم القتال مع رسول الله (ﷺ) : ((وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا : مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ (١٦) وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ اللَّأَمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ)) (١٧) ، فقد جاء سياق النص مستعينا بصيغ المصدر النائب عن الفعل (مضيا) و(صبرا) و(جدا) ؛ لتوكيد المعنى وبيان اهمية الحرب والاستعداد النفسي والبدني التي أدارها (عليه السلام) مع الرسول (ﷺ) ، إذ الجهاد المقدس لاعلاء كلمة التوحيد ودحض كل مظاهر الشرك والعبودية لغير الله سبحانه . واتخاذ الجادة الوسطى من طريق وهي السير في طريق الله واتباع تعليماته ، وتحمل كل الصعاب والمجاهدة في مواجهة الاعداء وصولا إلى تحقيق الغاية الاسمى التي من اجلها وقعت تلك الحروب (١٨) . والنص قد جمع بين نوعي الجهاد النفسي والحربي فالإيمان المطلق والتسليم التام لدى المقاتلين آنذاك خلق هذا الاستعداد للمواجهة مع العدو و التضحية بالنفس في سبيل الإسلام.

وعني البلاغيون ببنية الأمر ودلالاتها، لأنها لا تقتصر على ((بنية إنشائية طلبية، وإنما تتجاوزه إلى كونها بنية توليدية ، كغيرها من بنى الإنشاء ؛ لأنها لا تعرف الالتزام بأصل المعنى، بل تحاول أن تنتج ما لم تتعود اللغة انتاجه)) (١٩) ، ولاهمية هذا النوع من التعبير الانشائي الطلبي الذي ارتكز عليه الامام في خطبه - كما تقدم- فقد خرج من معانيه الحقيقية إلى معان مجازية مختلفة تبعا للاغراض والمقاصد التي كان يتوخى (عليه السلام) ايصالها إلى الاخر ، ومنها:

أ- الاعتبار والحث والترغيب: ومما جاء في هذا المعنى المجازي، قوله (عليه السلام) : (إِنِّي أَحْذَرُكُمْ ، وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ . فَلْيَتَنَفَّعْ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ، ثُمَّ سَلَكَ جَدًّا وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي ، وَالضَّلَالِ فِي الْمَغَاوِي ، وَلَا يَعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ بَتَعَسُفٍ فِي حَقٍّ ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نَظْقٍ ، أَوْ تَخَوْفٍ مِنْ صِدْقٍ) (٢٠) . يبين الامام (عليه السلام) أن النجاة في الالتزام بخمسة تعاليم من خلال أمره نفسه والآخرين وهو من التلطف في التعبير، بإشراكه نفسه المعصومة (عليه السلام) عن أي زلل أو خطأ مع السامعين ليكون كلامه أكثر تأثيرا ووقعا في نفوسهم . وقد جاء بصيغة الفعل المضارع المقترن بلام الامر (فَلْيَتَنَفَّعْ) المرء

بأعماله الصالحة بالبصر والسمع والتفكير والانتفاع من تجارب الآخرين وأخذ العبر منهم، ومن ثمة الحديث في تجارب جديدة بعيدا عن المعاصي والسير في طرق الضلالة والتهيه كما يضل الإنسان في الصحاري المجهولة، متبعا في هذا أقاويل الجهال والغواة الباطلة، أو تحريفه للحق نطقا، أو ترك الصدق خوفا مما يؤدي إلى تسلط هؤلاء الغوات بحيث يصعب الوقوف بوجههم (٢١).

ومن الملاحظ هنا إن الامام (عليه السلام) بدأ هنا بنفسه ليأخذ النصيحة مكانه في قلوب سامعيه، وبهذا يمتزج قول الامام (عليه السلام) بالعمل من خلال تفعيل الانتفاع بما تقدم. ب- النصيحة والارشاد: وهو الطلب الذي لا الزام فيه وإنما النصيحة الخالصة (٢٢)، وما جاء من حكمه قوله (عليه السلام): ((أَغْضِ عَلَى الْقَذَى وَالْأَلَمِ تَرْضَ أَبَدًا)) (٢٣) فالغض على القذى كناية عن كظم الغيظ وتحمل المكاره والالام التي تحيط بالإنسان والصبر عليها أمور يوجب الرضا الذي هو نتيجة حتمية للصبر على تلك المتاعب (٢٤).

ومما جاء في نهج البلاغة وصية أوصى بها (عليه السلام) شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام: ((اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغُرُورَ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرُدَّ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ، مَخَافَةَ مَكْرُوهِ، سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ. فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا رَادِعًا، وَ لِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِظَةِ وَأَقِمَا قَامِعًا)) (٢٥) فالأوامر (اتق) و(خف) و(اعلم) و(كن) فضلا عما احتواه النص من المعاني الموحية بالتحذير من السقوط في مهاوي الدنيا والاختداع بمظاهرها البراقة يساعدها في ذلك النفس الامارة بالسوء، فكان لها مانعا رادعا قاهرا رادا في كل حالاتها عند الغضب وعند الشهوات وحضور الملذات الباطلة (٢٦)، والنص صورة واضحة لمجاهدة النفس ومجابهة كل نزواتها الدنيوية تأديا تارة وتأنيا تارة أخرى.

ج- التخيير: هو الطلب بان يختار المخاطب بين أمرين أو أمور (٢٧)، ومن كتاب له (عليه السلام): ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجَلِّيَةٍ، أَوْ سَلْمٍ مُخْزِيَةٍ فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَ إِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ، وَالسَّلَامُ)) (٢٨) التخيير في صيغة الامر هنا واضحة

وهو الاختيار بين الحرب الواقعة لا محالة والتي تجلي الأهل عن أوطانهم أو التسليم المخزي والخضوع بالذل في إعطاء البيعة للإمام (عليه السلام)؛ لأن معاوية كان يتلصقاً في ابداء الرأي بين البيعة وعدمها وإنما رضوخه للبيعة والتسليم لها فيما بعد هو امر مدعاة إلى الذل والخضوع (٢٩).

٢- النهي : طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام (٣٠) ، وله صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بـ (لا) الناهية الجازمة . والتعامل مع ((هذه البنية يستدعي حضور حالة شعورية ذهنية تبدأ فاعليتها من منطقة (الاثبات))) (٣١) انتقالا إلى منطقة (النهي) ، وحاله حال أسلوب الأمر الطلبية بتواجد طرفين الأول يقتضي الإيجاب (الأمر) والثاني يقتضي الترك (النهي).

ومما جاء في نهج البلاغة للدلالة على هذا النوع من الطلب ، قوله (عليه السلام): ((لَا تَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدُوكُمْ ، فَإِنْكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدُوكُمْ حُجَّةً أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ . فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تُصَيِّبُوا مُعَوَّرًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى ، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ ، وَسَبَّيْنَ أَمْرَاءَكُمْ ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقَوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ)) (٣٢)

تعد هذه الرسالة وثيقة يلتزم بها المقاتل في ساحات القتال حيث التعاليم الاخلاقية الحربية فلا بدء بالقتال قبل أن يبدأ العدو وإن كانت الحجة معهم فانها ستحتسب لهم حجة اخرى في الثبات على موقفهم ومشروعية حربهم ، ثم قدم الامام (عليه السلام) ثلاث وصايا مهمة جدا ((لَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا)) و((لَا تُصَيِّبُوا مُعَوَّرًا)) و((لَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ)) ، فالغرض من الحرب هو كسر مقاومة العدو وبيان بطلان دعواه ، لا الانتقام أو الحقد ، فمن ولى هاربا لا تقتلوه ، ومن أمكن من نفسه الذي عجز عن المقاومة فان الاجهاز عليه وقتله يعدو منافيا للسلوك الإنساني القويم ، وكذا الحال مع الجريح حيث لا حول ولا قوة له ، ولقد تمثلت كل هذه باوامر النهي الصادرة عنه (عليه السلام) إلى جيشه . ثم انتقل إلى المرأة وهي كائن ضعيف ليست له القدرة على الممارك والمواجهات الحربية وليس لها من سبيل للتنفيس عن غضبها سوى لجوئها إلى السباب والشتائم فكانت وصيته لهم ان ((لَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ)) فتزداد في انفسهن البغضاء والعداوة (٣٣) ، فالجهاد النفسي متمثل هنا بمجابهة رغبتها في الاستحواذ

على كل شيء، والاندفاع في حال النصر، وما قد يواكبه من غرور وشطط. فأسلوب النهي بصيغته (لا الناهية والفعل) ظاهرة في مدلولها في طلب الكف عن الفعل استعلاء، ولكن قد يخرج النهي عن ايراد المعنى الاصلي إلى دلالات أخرى بما يتناسب والمقام الذي سيق من أجله، ومن هذه المعاني:

أ- النصح والارشاد: ومنه قوله (عليه السلام): ((لَيْتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ ، وَلَيَرَأَفَ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ ؛ وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ : لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ)) (٣٤) يقدم الامام (عليه السلام) وصايا أخلاقية واجتماعية مهمة تؤدي إلى تماسك المجتمع فامر الصغير باتباع الكبير وجعله سنداً أخلاقياً وأساساً للتعامل في أمور الحياة المختلفة، وبالمقابل حيث الاحساس بضعفهم وحادثة تجاربهم في الحياة التي ربما أوقعتهم في شرك الخطأ ، ولو كان المتبع في الالتزام بهاتين الوصيتين في العلاقة بين الجيلين القديم والحديث لتوطدت الاواصر الاجتماعية بينهم وادت إلى الالتحام وبناء مجتمع أخلاقي قائم على أسس صحيحة وسليمة . ثم وجه (عليه السلام) نهياً رادعاً لهم بقوله: (ولا تكونوا كجفافة الجاهلية) حيث اللؤم والقسوة وعدم الامثال والطاعة لمرضاة الله فلا يتفقهون في دين ولا يعقلون إلى ما يأمر به سبحانه وتعالى فهم ما زالوا في مرتع الضلالة والتحلل الذي يهدم كيان المجتمع (٣٥) . وهذا كله توجيه للنفس ومجاهدة كل هوى يمكن ان يصيبها بالغرور او المعاندة ومن ثم تأثير ذلك في المجتمع بأسره.

ومنه قوله (عليه السلام): ((أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ، وَلَا يَسْتَهْوَيْنَكُمْ عَصْيَانِي ، وَلَا تَتَرَامُوا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي ... لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضَلِيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بَرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانِ ، فَإِذَا فَغَرَّتْ فَاغِرَتُهُ ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأْتُهُ ، عَضَّتْ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا ، وَمَاجَتْ الْحَرْبُ بِأُمُوجِهَا)) (٣٦)، إذ الجرم اي قطع الصلة بالله الذي يؤدي إلى المعاندة المقيتة والهوى الذي يحرك العصيان والميل عن جادة الصواب ثم ما تتغامزون به بعضكم ببعض عندما تسمعون قولي، فكلها دلائل على الحقد والضغينة والحسد التي تعمي عيونهم وتؤدي إلى ارتكاب الاثام والمعاصي ، ثم انتقل إلى بيان حالهم عند ورود ذلك الضليل الاعمى وبيان أماكن انطلاقه ووروده فاذا ما استقر له الامر واستتب

وعظم سلطانه في البلاد نشر فساد ، وعضت الفتنة أبنائها استعارة عما يلحق بهم من الالام والمصائب مستعينة بانيابها الحادة التي تكون اكثر ايلاما واشد من غيرها من الاسنان الاخرى (٣٧)، ثم ما يلحق ذلك من حروب شبهها (عليه السلام) بالموج الذي يبدأ صغيرا ثم ما يلبث ان يعلو ويرتفع ، كذا هي الحرب التي تبدأ صغيرة بقدم ذلك الضليل إلى ان تتوسع شيئا فشيئا مضطربة بين الضعف تارة والقوة تارة اخرى .

ب- التوبيخ: ومنه قوله (عليه السلام): ((لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا ، وَيَقِينَكُمْ شَكًّا. إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا ، وَإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا)) (٣٨) فدلالة التوبيخ واضحة في بيان حالة الجهل التي عمت العاقل وخلافه حتى صار الامر سواء ، الامر الذي حول اليقين إلى الشك حتى للمتيقن ، والامام (عليه السلام) يعطي اشارة هنا إلى اثبات العمل بما علم الإنسان واتخاذ منهجا على حسب يقينهم (٣٩) وترك ما يمكن ان يسلب ذلك الايمان أو المعتقد .

ج- النصيح وبيان العاقبة : ومنه قوله (عليه السلام) : ((فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ ، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ ، وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ ؛ وَلَا تَرْخِصُوا لِنَفْسِكُمْ ، فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرُّخْصُ مَذَاهِبَ الظُّلْمَةِ)) (٤٠).

يذكر الامام (عليه السلام) بما بقي من الايام القلائل التي يجب أن تدرك بالعمل الصالح والتوبة إلى الله وذلك من خلال اتخاذ الصبر عونا لبلوغ الهدف المنشود ، فان ما تبقى من (الايام) قليل بالنسبة إلى ما مضى من أيام ، وكأن الامر هنا بيان نسبة مجموع من الناس بالنسبة للمجموع العام ، وتذكيرهم بالصبر وبيان عاقبة الامور ، وتلك الاستهانة والغفلة أدت إلى ترك الموعظة وطريق الارشاد (٤١) . ثم جاء أسلوب النهي موضحا موارد النجاة وحسن العاقبة بعدم الترخيص للنفس في عمل الموبقات وسلك الطرق الموهلة بالاثم إذ إن النفس توحى للإنسان بمواطن الخير والشر وتسيره بحسب تلك الايحاءات ، ومن ثمة فان هذه الرخص تسير بكم إلى مذاهب الظلمة ، فالظلم للنفس أولا والظلم للآخرين ثانيا كما يسير اولئك الظلمة في طريق المحرمات.

الخاتمة

بعد الاستكشاف لاهم الدلالات التي تميز بها مفهوم الجهاد عند الامام علي (عليه السلام) بين اسلوبي الامر والنهي فلقد توصل البحث الى عدة نتائج، من اهمها:

- جاء الجهاد في الامر والنهي متنوعا بين الدلالات الاصلية ومن ثم خروجها إلى أغراض مجازية مما أدى الى اتساع وبيان معناه بالصورة الاشمل مما خلق نوعا من التأمل والرؤية الصحيحة التي أفاد منها اصحابه في الرجوع الى جادة الحق وترك الباطل.
- تنوع الاغراض الجهادية التي تمثلت بجهاد النفس وجهاد الحرب على حد سواء ، فقد وظف (عليه السلام) الامر والنهي وما يتناسب والمقام الذي قيلت فيه مما ولد معان مختلفة حوت من التعاليم والاسس التي يجب اتباعها في السلم والحرب.
- اشراكه (عليه السلام) نفسه في كل الاوامر والنواهي الجهادية مع الآخرين مما ترك الاثر البالغ في نفوس متلقيه وإدراكهم للقيمة العليا المتوخاة منها، إذ الهدف واضح في كلها هو تحقيق مبدأ الجهاد في سبيل الله لا غير.
- واخيرا.. إن ما ورد من نصوص جهادية لا تقصر على زمن او مكان محدد، فمعركة الحق والباطل قائمة، فالامام (عليه السلام) يخاطب الجميع بلا استثناء ولا سيما مواعظه وارشاده المتواصل في ترك الدنيا وملذاتها الزائلة والاستعداد للقبال على الآخرة من خلال العمل الصالح فضلا عن الجهاد في سبيل الله الذي هو سمة الاسلام الحقيقي.

Abstract

Al-Jihad topic needs to be based on two aspects; positivity (right) and negativity (wrong). As a matter of fact, it does not deviate from its goal that was invented for. The purpose is that the right has to win in all aspects and the positive energy it generates that help in building a society free of social diseases and epidemics which in most part leads to endless wars. This appeared clearly in the texts of Nahjul-Balagha between command on one time, and prohibition on the other. Moreover, the real and metaphoric purposes that revealed the strength of the word, its artistic beauty, expressive energy and its effect on the other (friend or enemy). The basic reason for using these two methods is preparing the Muslim both psychologically and physically by the jihad concepts that it comprised which attempts to uncover the disguise of the earthly life and the need to be prepared for the judgment day, whether in the civil life or on the war fields.

هوامش البحث

- (١) ينظر: الايضاح: ٥٥ / ١، الاشارات والتنبيهات: ٨٦
- (٢) ينظر: البلاغة العربية: ٨٤
- (٣) ينظر: نحو المعاني: ١١٢، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية: ٢: ٧٧، علم المعاني: درويش الجندي: ٣٤
- (٤) ينظر: مفتاح العلوم: ٤١٤، الايضاح: ١ / ١٢٥، المطول: ٤٠١
- (٥) ينظر: مفتاح العلوم: ٤١٤، المطول: ٤٠١، التلخيص في علوم البلاغة: ١٥١، عروس الافراح: ١ / ٦٩
- (٦) ينظر: علم المعاني: درويش الجندي: ٣٤
- (٧) ينظر: علم الجمال اللغوي: ٤١٠
- (٨) الطراز: د. ابراهيم الخولي: ٣ / ٢٨١-٢٨٢، ينظر: مواهب الفتاح: ١ / ٤٩٩، المطول: ٤٢٢، البلاغة العربية: ٨٧
- (٩) ينظر: البلاغة العربية: ٨٧-٨٨
- (١٠) نهج البلاغة: ٤٥٢
- (١١) ينظر: الديباج الوضي: ٥ / ٢٦٤٨-٢٦٤٩، شرح نهج البلاغة: السيد عباس الموسوي: ٥ / ١٣٨
- (١٢) نهج البلاغة: ٣٧١
- (١٣) م. ن: ٤١٩
- (١٤) ينظر: الاساليب الانشائية في النحو العربي: ١٥٤
- (١٥) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد: ١٦ / ٢٩١، اعلام نهج البلاغة: ٢٥٨، نفحات الولاية: ١٠ / ١٦٨
- (١٦) لسان العرب: مادة (لقم): ١٢ / ٥٤٦: (الَلَمَّ مُحَرَّكٌ مُعْظَمُ الطَّرِيقِ .. لَقَمَ الطَّرِيقَ مُنْفَرَجَةً)
- (١٧) نهج البلاغة: ٩١-٩٢
- (١٨) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ١ / ٢٣٤، اختيار مصباح السالكين: ١٦٢، منهج البراعة: الخوئي: ٤ / ٣٣١
- (١٩) البلاغة العربية قراءة اخرى: ٢٩٣

- (٢٠) نهج البلاغة: ٢١٣، وينظر: ٥٢٤
- (٢١) ينظر: اختيار السالكين: ٣٢٢، نفحات الولاية: ٦/ ٤٤-٤٥، توضيح نهج البلاغة: ٢/ ٣٨٢
- (٢٢) ينظر: البلاغة العربية: ٨٩، البلاغة العربية في ثوبها الجديد: ١٠٣
- (٢٣) نهج البلاغة: ٥٠٧
- (٢٤) ينظر: اختيار السالكين: ٦٢٩، توضيح نهج البلاغة: ٤/ ٣٦٣، شرح حكم نهج البلاغة: ٥٦
- (٢٥) نهج البلاغة: ٤٤٧
- (٢٦) ينظر: اختيار السالكين: ٥٥٧، الديباج الوضي: ٥/ ٢٦٢٠-٢٦٢١
- (٢٧) ينظر: البلاغة العربية: ٩٠، علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين: ٣٤٨-٣٤٩
- (٢٨) نهج البلاغة: ٣٦٨
- (٢٩) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ١٤/ ٤٥، اختيار السالكين: ٤٧٧
- (٣٠) ينظر: مفتاح العلوم: ٤١٥، الطراز: ٣/ ٢٨٤، المطول: ٤٢٦، حاشية الدسوقي: ٢/ ٥١١، البلاغة العربية: ٩١
- (٣١) البلاغة العربية قراءة أخرى: ٢٩٧
- (٣٢) نهج البلاغة: ٣٧٣
- (٣٣) ينظر: منهاج البراعة (الخوئي): ٣/ ١٥٤، نفحات الولاية: ٩/ ١٦٣-١٦٤
- (٣٤) نهج البلاغة: ٢٤٠
- (٣٥) ينظر: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٩/ ٢٨٢، بهج الصباغة: ١٠/ ٥٩١، نفحات الولاية: ٦/ ٢٨٧-٢٨٨
- (٣٦) نهج البلاغة: ١٤٦-١٤٧
- (٣٧) ينظر: اختيار مصباح السالكين: ٢٤٣، توضيح نهج البلاغة: ٢/ ٧-٨، في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ٩٤
- (٣٨) نهج البلاغة: ٥٢٤
- (٣٩) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢/ ٣٩٩
- (٤٠) نهج البلاغة: ١١٧
- (٤١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١/ ٤٢٦، شرح نهج البلاغة (سيد عباس الموسوي): ٢/ ١٤

قائمة المصادر والمراجع

- اختيار مصباح السالكين: ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٥٦٧٩هـ) تح: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية التابع للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي: عبد السلام محمد هارون: مكتبة الخانجي، ط ٥، ٢٠٠١.
- الاشارات والتنبيهات : ابن سينا مع شرح: نصير الدين الطوسي، تح: الدكتور سليمان دنيا: دار المعارف، ط ٣.
- اعلام نهج البلاغة : علي بن ناصر السرخسي ، مصحح : عزيز الله العطاردي ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، نشر عطاردي، طهران، ط ١، ١٤١٥.
- الايضاح في علوم البلاغة: الخطيب محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، شرح وتعليق وتنقيح: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار لكتاب اللبناني ، ط ٥، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- البلاغة العربية : الدكتور احمد مطلوب، منشورات مكتب الزهراء، بغداد، ط ١، ١٩٨٠م.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد - علم البديع - : الدكتور بكري شيخ امين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧م.
- البلاغة العربية قراءة أخرى: الدكتور محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العامة للنشر - لونجمان، ط ١، ١٩٩٧م.
- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي التستري، دار أمير كبير للنشر، طهران، ط ١، ١٤١٨هـ.
- التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٣٢م.
- توضيح نهج البلاغة: السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار تراث الشيعة، طهران، د. ت.
- حاشية الدسوقي على شرح السعد : محمد بن محمد بن عرفه الدسوقي (ت ١٢٣٠هـ) ، ضمن (شروح التلخيص) ، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧م .

- الديباج الوضي في الكشف عن اسرار كلام الوصي: المؤيد بالله ابي الحسن يحيى بن حمزة بن علي الحسيني ، تح: خالد بن قاسم بن محمد المتوكل ، مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية ، ط١ ، ٢٠٠٣.
- شرح حكم نهج البلاغة: الشيخ عباس القمي ، مؤسسة نهج البلاغة ، طهران ، ط١ ، ١٤١٧.
- شرح نهج البلاغة : السيد عباس الموسوي : دار الرسول الأكرم ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ.
- شرح نهج البلاغة : عز الدين ابو حامد ابن أبي الحديد ت(٦٥٦هـ) تح: محمد ابو الفضل إبراهيم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة ، قم ، ط١ ، ١٣٧٨هـ.
- الطراز: يحيى بن حمزة العلوي اليمني ، تح: د. ابراهيم الخولي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٩
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: تأليف الشيخ: بهاء الدين أبي حامد احمد بن علي عبد الكافي السبكي(ت٧٧٣هـ) تح: الدكتور خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- علم الجمال اللغوي: المعاني ، البيان ، البديع : محمود سليمان ياقوت: دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٥م.
- علم المعاني بين بلاغة القدامى واسلوبية المحدثين: طالب محمد ، جامعة قاريونس ، ١٩٩٧.
- علم المعاني دراسة دراسة بلاغية ونقدية: الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود ، مكتبة وهبة للطباعة والنشر ، د. ت.
- علم المعاني: الدكتور درويش الجندي: مكتبة النهضة ، مصر ، د. ت.
- في ظلال نهج البلاغة : الشيخ محمد جواد مغنية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٠هـ.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر - بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ.

- المطول شرح تلخيص المفتاح ، للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ت (٧٩٢هـ) ومعه حاشية العلامة السيد الشريف الجرجاني ت (٨١٦هـ): صححه وعلق عليه أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث، ط١، د . ت.
- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، تح: د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط١، ٢٠٠٠.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي: تح: السيد إبراهيم الميانجي: المكتبة الاسلامية ، طهران، ط٤، ١٤٠٠هـ.
- مواهب الفتاح (شروح التلخيص): ابن يعقوب المغربي ت(١١١٠هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، القاهرة، مصر ، ١٩٣٧م .
- نحو المعاني : أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- نفحات الولاية: آية الله العظمى مكارم الشيرازي، اعداد: عبد الرحيم الحمراني، سليمان زاده، دار النشر الإمام علي (عليه السلام)، قم، إيران، ط٣، ١٤٣٠هـ.
- نهج البلاغة : صبحي الصالح، دار الاسوة للطباعة والنشر، طهران، ط٥، ١٤٢٥م.